وجهة نظر

عن أبعاد البطولة والمقاومة في الشعر العربي

بقلم محمد الجزائري

– ١ –

حين يكـون الشعر تجسيدا مكثفا ومرهفا للانسان ولطبيعتـه ، فهو يتحد بكل ارهاصات الحياة ، والكون .. الشعر يتحول . هنا ،الى ملقط انساني يتناول ابرز مشاكل الانسان وتطلعاته .. ويحيلها الـى جمرة متقدة ، تنيـر واتوقد العديد من ظلمـات الارض ، ونطهرهـا .. اذ ان الشعر في هذه الحالة ، يكـوّن فعـاليـة انسانيـة مؤثـرة، ومتفاعلـة مـع الوجـود الانساني عمومـا ..

« ان الشعر يجسد الانسان وطبيعـة الانسان الذي بيننا ،والذي اخذ على عاتقـه هدايـة نفسه والاخرين الى حيث تتفتح بأوسـع آفاقها ، ملكاته العميقة .(١)وهذا الفهم المكثف الذي يطرحه تريستان تزاراً (٢) لوظيفـة الشعـر الانسانية ، هي تجسيد حي لارتباط الشعر، كعالم ، بملكات الانسان الشاعر ، وانفتاح آفاقه ..

واذا اخذنا شعر المقاومة ، وفق هذه المقولات ، نرى ان قضية شعر المقاومـة تكتسب بعدا انسانيا وفنيـا في ذات الوقت ، اذا لم تعـزل الشعـر ولا الشاعر . عن الظروف المادية والذاتية المحيطة بهماوالمتاثرة والمؤثـرة فيهمـا ..

وسيكون « ـ من الشطط الاعتقاد » ـ كمـا تحدث تزارا عن تجربته الشعريـة ابان المقاومـة الفرنسية ـ :« بأني اعطي لشعـر المقاومة قيمة تزيـد على القيمـة التي اثبتت جدارتهـا تاريخيـا ضمـن لحظـة شامخـة بشكـل خاص ..»

لـماذا ؟

يقول تزاراً :« ان التزاوج بيـن الشعر والنضال ـ وهذا مايفعله شعـراء الارض المحتلة عمليا ـ ليس بذي قيمة الا بالنسبة لاولئك الذين يتنكبون مهمـة هاتين الصبوتين وفقا لامكانياتهم الحيانيـة المتفاوتـة حتى الحد الذي يختفي فيه « التعليق ليفسح المجال للحقيقة بكـل سؤددهـا ..»

وكما تؤكـد الحياة ، عندنا ، وعلى الارض المحتلة ، يبقى لشعـر المقاومـة اهميـة خاصة .. اذ « ان أهمية هذا الشعر تنبع من البرهنة على ان شرعيته وصحته تستطيعـان الاستجابة في بعض الحالات الـى ضرورات جماعيـة مثلمـا تستجيب التجربة الشعريـة بصورة عامـة لضرورات الفرد .. ان مثل هـذا الشعـر لا يلتصق بالحدث فقط ، انما يندفـع كليـا معه . انه بالنسبة للحدث ـ دعم فعال في الوقت نفسه الذي يعاني فيه ، منه .. ومن شروطه المعطاة من قبل مكوناته .

وفي لحظات التمرد الجماعيـة يستطيع هذا الشعـر ـ الى حد ما ـ استنفـار مجموعـة النشاطات الطبيعيـة الدفينة ، والتي تبـدو متناقضة ظاهريا ، كمـا ينبغي صيانـة تراث القيم التي كرس التيـار الثوري الشعري نفسه لهـا وليس لمجرد انهـا تشكل اثراء لميدانالمعرفة، وانمـا لان التيار الايديولوجي الثوري ـ الذي يبرز خارج الشعر ـ يصبح ـ من اجل الالتحام بالشعر ـ قاعدة استناد فوق صيرورة هذين التيارين متخذا بنظـر الاعتبار منجزات نظريـة تستطيـع ان تمـارس عملهـا بحد وسطي من الضرورة ، وبعبارة أخرى بحد وسطي منالشرعية، وفي مثل هـذا الشرط يستطيع الشعر ان يكـون عنصرا فعـالا فـي واقع الحيـاة ..» (٣)

ولكي نؤكـد ضرورة ان يكـون الشعر عنصرا فعـالا في الواقـع، يمكننا الاستشهاد ـ في التعميم مثلا ـ بشعر المقاومة في فلسطيـن المحتلة ـ بالذات ـ وتاثيره الفعال على واقعنا العربـي ، وانساننـا العربي خاصة بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ .. وبالضرورة فـان انتشار وترجمـة هذا الشعر يستهدف ـ اذا استثنينا الروح التجارية لدى بعض الناشرين ـ الاسهام في تغيير بنيـة العلاقات ليس علىالارض المحتلة ، وحسب ،بل في البلدان العربية والعالم .. اذا استمر يحمل رؤاه الثورية الاصيلة ذاتها ، النابعة من ارض نضالية ـ هي فلسطين المحتلة ـ ومن الايديولوجية العلمية ـ هي الماركسية اللينينيـة فـي الغالب ـ لذا فـان هذا الشعر ـ وعلى الصعيد الواقعي ـ يلتحـم « كواسطـة للتعبير وكنشاط روحي » وانساني ـ ضمن ديالكتيك معقد يجعل من الشعر ذلك الالتحام الواعي بيـن ما ضمر منه وما ظهر .. « بالاضافة الى الصفـة التـي تمنحـه صوته المميز ولغته المختارة » كشعر نضالي يجسد « ابعاد البطولة » الحقيقية ، ليس على الارض المحتلة ، وحسب ، بل على كل الارض التييناضل فيها الانسانمن اجل تغيير بنيـة العلاقات الانتاجية والاجتماعيـة ، ومن ثم تغيير العالم ..

ان تغيير الانسان ، وتغيير العالم ، هما سمتان من سمـات الرؤية الثورية في الشعر العربي في فلسطين المحتلة ، وفي النضال .. لذا فلكي نضع نصب اعيننا ،هذه المسالة ، نحتاج ـ بالضرورة ـ الى فهم علمي سليم لكل جوانب ومعطيات وبدايات واهداف الحركة الشعرية ، ليس محليـا او عربيـا ، وحسب ،بل وعالميـا ، التي تتمثل فيهـا روح المقاومـة ..

لان لغـة الشاعـر هي « عنصر حي وغالبا ما تكـون في حالـة تغيـر وخلق لانهـا حقيقـة اجتماعية ..

– ٢ –

لذا ففي تناول مسائل الشعر والمقاومة ، في الارض المحتلة .. من الضروري الاتصاف بالموضوعية والوعي الكامل لابعاد القضية الفلسطينية ، بل وقضية الثورة في الوطن العربي – عموما – ..

والمبدأ الاساسي الذي يمكن الركون اليه في خلق الاستنتاجات لابعاد المقاومة ، او ابعاد البطولة في شعر المقاومة ، هو دراسة الارضية الفكرية التي انطلقت منها الكلمة – البندقية .. وعلى الصعيد العربي . فالاشكال الجديدة التي فرضتها مرحلة ما بعد الخامس من حزيران ٦٧ .. في تطوير اساليب النضال من اجل تحرير الارض المحتلة ، وخلق البديل الثوري : دولة فلسطين الديمقراطية الحرة .. ليست « اشكالا لمضمون الصراع اليومي بين دولة عنصرية غاصبة وشعب مغلوب على امره .. » (٤) .. بل هي انعكاس مرحلة التحرر الوطني الفلسطيني في ارتباطها العضوي مع حركة التحرر العربية وحركة التحرر في العالم اجمع .. هذا الانعكاس والتفاعل ، حمل « ارادة التغيير » في الوسائل والاساليب ، ووضع لبنات فكر ثوري – لبعض اجنحة العمل الفدائي – ومشاريع ثورية ، حتى لمرحلة ما بعد التحرر .. وبذلك اكتسب العمل الفدائي طابع الثورية الاصيلة ، ايضا ..

لذا فان تقسيم وتصنيف الثورة وقواها ، والمقاومة وابعادها في الارض المحتلة ، على اساس اجتهادات فردية قلقة ، ومتضادة، لا تدلل على فهم واع لابعاد الواقع النفسي وواقع التجزئة، ولا للبديل الثوري الذي طرحته الرؤية الجديدة للعمل الفدائي ، في الارض المحتلة . .

بل ان اعتماد فكر المقاومة ك . شكل » نضالي « للمعارضة » او « الاحتجاج » منطق فيه الكثير من التجني لتاريخ وجذور وفكر العمل الفدائي والمقاومة ، ابتداء من منظمة جبهة الارض ومثل ذلك، منذ الثلاثينات ، وحتى يومنا هذا ...

وان « تعدد ابعاد البطولة في شعر المقاومة العربية المعاصرة »(٥) هو ناتج طبيعي – باعتقادي – لوجود انظمة حكم متباينة ، وبنيات اجتماعية متباينة ، ايضا .. واستقبالات وردود فعل نفسية ومصلحية للعمل الفدائي ، متباينة .. كذلك ..في كل بقعة من ارضنا العربية ... وبالمقابل لوجود حركات ثورية وجماهيرية متباينة ومتشعبة وذات منطلقات ورؤى تاكتيكية وستراتيجية مختلفة ومتصارعة ..

ومن هنا ، لا يمكن اعتبار شعر المقاومة شعرا « معارضا » او « احتجاجيا » – حتى على الارض غير المحتلة – بل انه شعر مقاوم يمتد نظريا في تاريخ النضال العربي ، منذ الاربعينات ، بل انه ليمتد منذ العشرينات على وجه التخصيص – في تاريخنا الحديث – (في العراق منذ ثورة ١٩٢٠ وفي مصر منذ ثورة ١٩١٩ وفي الجزائر منذ حركة عبدالقادر الجزائري . الخ) وقبل ذلك في تاريخ الادب العربي القديم ، على مر الدهور ..

وان شعر المقاومة لا يقف عند حدود – الشعر الفلسطيني – قطعا .. بل ان الشعر الفلسطيني اكتسب أهمية خاصة ، عبر تعميقه لرؤاه الثورية ،قبل وبعد ٥ حزيران ،حين تبلور اتجاه درويش – زياد – القاسم .. كشعر ثوري ، وليس شعرا بكائيا كشعر فدوى طوقان – قبل ٥ حزيران – وبالذات قبل ديوانها « الليل والفرسان » ...

بل ان شعر المقاومة الفلسطينية ، يتصل حضاريا ، ونضاليا بالشعر العربي الثوري ، وشعر حركة الشعوب المحبة للحرية والسلام في العالم اجمع .. انه شعر عربي ، واممي ، في الوقت نفسه ..

ولو كان التطبيق الفردي لقيم الشعر الذي يسعى لتطبيقه كاتب كفالي شكري ، يحقق اللقاء السليم في الهدف والنوايا والمنطلقات ، لما وجدنا ضرورة لهذه المقالة .. ولكن لكون الكاتب يضع سبب وجود « ابعاد البطولة » – خارج ميدانها السليم – و « تعدد الجبهات التي يناضل عليها الانسان العربي » – وهذا صحيح – ثم ليعود يناقض نفسه في اعتبار « شكل » الصراع بين الشرق العربي والاستعمار الغربي ، انما هو « مضمون » « الصراع اليومي بين دولة عنصرية غاصبة وشعب مغلوب على امره .. » هو عنصر « تفهم » شعر « المعارضة » كما يسميه ، في الارض المحتلة ، وشعر « الاحتجاج » كما يسميه آخرون .. فذاك ما نختلف واياه به ..

– ٣ –

اولا : ان افق الصراع العربي – الصهيوني ، هو افق اوسع من الرقعة الفلسطينية .. اذ هو الصراع بين الشعوب العربية المحبة للحرية والتقدم والاشتراكية ، وبين قوى الامبريالية والاحتكارات في العالم اجمع ..

وبهذا يخرج طابع الصراع من « شكل » المعارضة للدولة – اية دولة كانت اسرائيل او السعودية او غيرها – الى « مضمون » العمل الثوري المنظم ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية وركائزها .

ثانيا : ان اساليب الكفاح – المقاومة – تعددت بتعدد طبيعة الملاكات الثورية ، والمناطق الثورية ، والامكانات الجماهيرية .. بدءا من الكتابة على الحائط وحتى الكفاح المسلح .. ثم وبالمقابل تتنوع وازدياد وتيرة التحشيد العسكري والمساعدات الامبريالية للجيش الاسرائيلي ثم لاقتصاديات الحرب لدى اسرائيل ، وعموم تصنيعها، وتخطيطها ، بل وعلمية اساليبها في الواجهة والتوسع والاستيطان والعدوان ، سياسيا وفكريا ، وعسكريا واعلاميا ..واقتصاديا ..

ومن هنا فالشعراء ، والشعر المقاوم ، ظلا يلازمان الثورة – كطريق اوحد – بدءا باساليب الكفاح التمهيدية ، وانتهاء بمرحلة التحرر الناجز .. ليس في فلسطين المحتلة ، وحسب ، بل في كل شبر من الوطن العربي ، فالشعر الفدائي الثوري ، هو الشعر الذي جابه ويجابه الاحتلال والعسف والاضطهاد والحكم الدكتاتوري، بل وكل اشكال التسلط والبيروقراطية ، والاجهزة التي تعيق وتعرقل مسيرة الثورة العربية الظافرة ، في هذا البلد العربي ، او الجهاز التنظيمي او الفئة السياسية .. او ذاك ..

وثالثا : ان العمل الفدائي هو جزء من العملية الثورية ، في الوطن العربي ، والعالم .. ويكتسب الفدائي صفة الثوري حين يمتلك نظرية ورؤية ثوريتين .« فالعمل اعمى بدون نظرية مرشدة » لكيما يستطيع العمل الفدائي تخطي المرحلية ، واكتساب صفة الشمولية والنظرية المستقبلية في البناء ، بعد الهدم ، وفي التحرر بعد الاحتلال ..

ورابعا : أن الادب المقاوم هو ناتج طبيعي للشعب المقاوم . مهما تعددت جبهات الارض ، واختلفت – نوعيا – فثمة ادب مقاوم في العراق منذ ثورة ١٩٢٠ (٦) .. وثمة ادب مقاوم للحكومات والعقليات الديكتاتورية والفاشية ، وغيرها حتى بعد ثورة تموز ١٩٥٨ ، عندنا .. وفي ج.ع.م ثمة ادب مقاوم حتى بعد ١٩٥٢ ، وللان .. لكل سلبيات الواقع المجتمعي الذي تركته سنوات الاحتلال والاستعمار والملكية والبيروقراطية والتسلط ...

ان المقاومة والفداء . عمليتان حضاريتان .. بمعنى ان العمل الفدائي ، او المقاوم يسعى من أجل ازالة واقع سلبي ، وبهذا يحقق بالمقابل – كبديل – واقعا ايجابيا ، او يسعى لذلك .. ليس عبر الحلم الثوري – وحده – بل عبر الواقع الثوري عبر عملية التغيير .. وبهذا فهو يضيف حضاريا ، اضافة انسانية لمجموع التراث البشري ..

لذا فان الصيحة ـ النشاز ـ التي تطلق هنا وهناك ، لرفض شعر المقاومة في الارض المحتلة ، والتقليل من أهمية شعراء الارض المحتلة ، واعتبار هذا الشعر ، وهؤلاء الشعراء « معارضين » فقط .. بل ان الجانب المتهم ـ كغالي شكري وبعض الادباء في العراق ـ يعتبرون انفسهم ـ ماركسيين وثوريين .. وهم في الموقع العلمي ، بصف الرجعية الفكرية ، حتى مع كل صيحات التجديد التي يطلقونها تقليدا ، وليس أصالة ولا وعيا ، ولا تخطيا .. وبذلك يضعون ـ المسطرة ـ « التجديدية » التي يقيسون كل شيء وفقها، ان يكون الشعر « ادونيسيا » ـ مثلا ـ فهو تجديدي ، والا ..فهو مرفوض لانه « لا ينثني على العالم » .. وما شابه !

هؤلاء رجعيون ، بسبب كونهم يطلبون ـ بوصاية ما ـ من كل الشعراء ان يكونوا شعراء « هواء العالم » و« المخلوقات الجميلة » وغير ذلك .. والا فهم « منعزلون » عن حركة « التجديد » التي يفتح ابوابها ، بعد ان اوصدها رياح العالم ، بعض الفنية عندنا ـ رغم كل تطلعات الشباب المشروعة في التجديد والتجريب والمعاناة الشعرية ـ بعد سنوات من تخلي روادها الاوائل الذين طلق أغلبهم السريالية والدادية وكل هوس الشكل المحض ..

ـ ٤ ـ

لذا فالادب المقاوم هو الذي يرفض كل الركام السلبي من موروثات العهود الماضية ، أو كل الاساليب التي تقف ضد ارادة الشعوب في تغيير العالم .. وهذا الادب ما دام يحمل ارادة التغيير والثورة ،فهو لا يفلسف العالم ببؤس ، وهكذا يكتسب الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة ، صفة المقاومة ، كذلك الشعر العراقي والمصري و ... على كل الجبهات العربية ـ مع تعددها ..

اذن ، ليس المهم ان نعيش كما نعيش ، بل المهم ان نفكر كيف يجب ان نعيش كما يجب » كما قال عمر فاخوري يوما ..وأضيف وان نعمل لكي نحقق العيش كما يجب ، بهذه السعة التي تتحملها « ابعاد » كلمة « مقاومة » من مضامين ..

فالمقاومة لا تعني ولا تتمدد بأفق الكفاح ضد المحتلين الاجانب، وحسب ، بل تتسع لتشمل كل سلبيات الحياة والانظمة والحكومات .. الخ .. من اجل بناء المجتمع الفلسطيني السعيد في دولة حرة متحررة .. لذا فان اقرار بقاء « دولة اسرائيل » هو موقف رجعي .. اذ انه ينفي اي تطلع لايجاد دولة فلسطين الديمقراطية الحرة، لان اسرائيل وجود احتلالي ، توسعي ،عدواني .. وهو يرتبط ـ ككيان ـ بالامبريالية العالمية ..

لذا فان اقرار وجود « شكل » دولة اسرائيل ـ كأمر واقع ـ يكون من الطبيعي على فهم غالي شكري : ان يكون « شكل » النضال العربي ، شعرا او سلوكا ، وحتى كفاحا مسلحا ، هو « شكل المعارضة » !!..

ومع ادراك ان الفدائي المعاصر لم يعتبر وجوده ، يوما ، داخل فلسطين المحتلة « أمرا طبيعيا » فهو لم « يتعايش » ايديولوجيا . او نفسيا ، او اجتماعيا مع نظام الحكم الصهيوني الاستعماري .. بل ولم يقر يوما اية مشروعية لهذا النظام في اي عمل يتخذه .. فكيف يمكن ان يتحول شعر الفصائل الثورية من المقاومين ـ داخل الارض المحتلة ـ الى « شكل معارضة » ؟!..

وحتى لو أخذنا كلمة « معارضة » بحدها الاستقطابي الادبي، فهي تجمع محورها جبهة عريضة من الناس داخل فلسطين المحتلة: عربا وغيرهم (مسلمين ومسيحيين ويهودا يقطنون فلسطين قبل الاحتلال ولم يغادروها) ويهودا ، يعارضون طبيعة الحكم وتركيبه وسياسية ممن جاءوا بدوافع غير استيطانية الى فلسطين .. وهم الفصيل الاول من سكنة الارض العربية المحتلة ..

اما اليهود الذين نزحوا بشكل او بآخر الى فلسطين ، من منطلق الدعوة الصهيونية لخلق فلسطين كارض للميعاد .. فهم استعماريون شاءوا ام أبوا .. وهم الفصيل الثاني ـ المستعمر ـ ..

لكن الفصيل الاول ، لا يمكن شطبهم وشطب وجودهم في حالة اعتبار قضيتنا الاساسية ليست قضية محو شعب او قوميات، بل محو كيان احتلالي (صهيوني ـ امبريالي) ، وتحرير الارض والانسان في فلسطين والارض المحتلة كلها .

لذا فان الخلط بين الصهيونية ـ كمذهب عنصري استعماري ـ وبين اليهودية ـ كدين ـ من جهة وبين العرب سكان الارض الاصليين ، وبين النازحين اليهود ـ بدافع استيطاني او ديني عنصري ـ نجد ان ـ ديالكتيك ـ الكاتب « شكري » لم ينقذه .. اذ ـ حتم ـ ان « شكل نضال شعراء الارض المحتلة » هو « شكل المعارضة .. » لا غير ! .. وايده بعض الاخوة في العراق !

اما اذا رفض شعراء الارض المحتلة « شكل » و« مضمون » الوجود الاسرائيلي ، وارادوا خلق البديل الثوري وهو : دولة فلسطين الحرة الديمقراطية ، التي يتعايش فيها العرب المسلمون واليهود والمسيحيون ، بشكل متكافيء ... فان حالة الرفض هذه التي تجد شكلها الواضح ليس في اشعارهم فقط ، بل في نضالهم اليومي وصمودهم أيضا ، لا تتخطى حالة« المعارضة » ـ كما يبشر الكاتب ـ فالوقائع تفند هذا التخريج والتكييف السياسي ..

ـ ٥ ـ

كيف ؟

في مقابل عدائنا ـ كماركسيين ـ للصهيونية . وتمييزنا بين اليهودي الذي لا نعادي يهوديته المحضة . الا اذا تحول الىصهيوني ـ اقول ، مقابل ذلك « لا ينبغي لهذا الحرص الحق على النظر الى الاشخاص كل على حدة ، وعلى احترام كل انسان وقيمته اللامتناهية، ان يعطل الكفاح من اجل تنظيم اكثر انسانية للعلاقات الاجتماعية»(٧).

لذا فان المناضل الثوري في فلسطين والارض المحتلة يلجأ الى اساليب عديدة في الكفاح . « فمشكلة الوسائل » في الكفاح الضروري من اجل تغيير بنية وتركيب شكل » و« مضمون » الدولة في فلسطين و« شكل ومضمون العلاقات القائمة ، لايجاد البديل الثوري، تطرح نفسها على اليهود ، تماما ، كما تطرح نفسها على الماركسيين العرب .. ولا يملك اليهود « الا ان يتجنبوها لانه لا خيار لنا ـ ولا للمقاومين العرب ـ (٨) ابدأ بين العنف واللاعنف .. فنحن في قلب المعركة ، واستنكافنا او التزامنا ، يلعب دوره في ميزان القوى ، ولان نستنكر عنف العبد الذي يتمرد ، موقف يجعلنا شركاء في العنف المستمر الذي يمارسه السيد الذي يضع الاغلال في قدميه .. فاذا كان اليهود « يرتضون ان يكونوا جنودا » ضد العرب « فلم لا يكونون مقاتلين في صف « المقاومة » او مناضلين ثوريين » ضد اسرائيل ! ؟.. « انهم اذا رفضوا ذلك فليس « الوسائل » ما يرفضون ، ما داموا كجنود قد ارتضوا العنف . بل « الهدف الثوري ذاته » .. وبذلك فهم يخرجون ـ في هذه الحالة ـ من موقف اليهود ، المحض ، الى اليهود الصهاينة .. وبذلك لا يمكن التساهل ـ هنا ـ معهم من منطلق النظرة الدينية و« التسامح الديني » : «فان التاريخ قد علم الماركسيين الا ينخدعوا بالموقف الديني المحض ، موقف العداء » تجاه العرب ، وتجاه المسلمين عموما ، وتجاه الشيوعية ، مثلا : «لانه حصيلة الخلط بين الاخلاق والمنطق وزعم قدرة الايمان على ان يوفر مباشرة ، اشكالا ذات طبيعة سياسية واجتماعية ،دون الاعتراف باستغلال ذاتي للحياة الدنيا .وبانه لا بد من استخدام مكتسبات المعرفة العلمية الخالصة ليستطاع الى اصدار حكم على « شكل » من اشكال العلاقات الاجتماعية او على نظام سياسي ..

وما يكرهه الشيوعي – وهذا ما يحدث لشعراء المقاومة . فيفلسطين المحتلة (٩) في المؤسسة الدينية ، هو ذلك الرباط الذي يجعلها في تحالف » مع مضاد الثورة .. (١٠) مع اعداء الانسانية واعداءالعروبة واعداء حرية فلسطين كوطن اصيل للعرب ..

– ٦ –

شعراء الارض المحتلة غرباء في وطنهم .. كيف ؟ .. انهم ليسوا « منفصلين عن الطبيعة عن طريق العمل والانتاج ..»(١١) وحسب ، بل وان غربتهم من نوع احد واعمق .. اذ مع ان الارضكانت أرضهم ، كذلك الطبيعة .. لكنهم لا يحققون الالتحام مع المجتمع عبر علاقات العمل والانتاج .. انهم يلتحمون مع الشعب الفلسطيني ، بل مع الشعب العربي بخاصة . وشعوب العالم المتحررة والمناهضةللاحتلال والامبريالية والعسف ، عموما .. لذا فهم يكتسبون الغربة داخل ارضهم . بمعاناة جديدة ، انهم يحسون ان « هذه الغربة ضرورية – كما يقول آرنست فيشر – لتطور الانسان ، ولكن لا بد من التغلب عليها باستمرار .. وذلك حتى يعي الناس كيانهم اثناء عملية العمل، وحتى يجدوا انفسهم مرة اخرى ، في نتاج عملهم ، وحتى يوجدوا – وهذا هو المهم في شعر شعراء الارض المحتلة – اوضاعا اجتماعية جديدة لا يكونون فيها عبيدا لانتاجهم بل سادة له ..»

ومن اجل هذا ، فأن محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وغيرهم .. حماوا جوازات سفر اسرايلية ، وهم فلسطينيون عرب للاعماق .. وذهبوا ليمثلوا « غربتهم » ويعكسوا تغربهم – فيارض الميعاد !! – عبر مهرجان صوفيا العالمي للشباب ...

ان هذا الرفض للتغريب ، هو انعكاس وضعية الاضطهاد على الأرض المحتلة . .وان الحصول على جواز سفر اسرائيلي هو دلالةجديدة تضاف الى دلالات الاضطهاد ، وتعمق قناعة الرأي العام العالمي بأحقية الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه وهويته وشخصيته الكاملة على أرضه ووطنه .. اذ ان الصهاينة ينفون ان يكون هناك شعب فلسطيني، وهم يحاولون طمس كل معالم هذا الشعب العربي .. لذا فهم يعطون لدرويش والقاسم وزياد .. جوازات سفر (غير فلسطينية) امعانا في اضطهادهم وتشويه هويتهم الفلسطينية ..

والشاعر يعاني هذه الغربة القسرية ، اضافة الى صفوف الاضطهاد الاخرى .. ومع ذلك .. يأتي البعض فيسهمون – مع الصهيونية – شاءوا أم أبوا – لتعميق هذه الغربة القسرية ، حين يضعون اسلاكا شائكة جديدة على عناوين واسماء وشعر وسلوك هؤلاء المناضلين الفلسطينيين الذين يواجهون ظرفا اسوأ من الموت.. اذ يلتقي الذين « انتفضوا بهستيرية » يتشمون ويشنعون ضد شعراء الارض المحتلة مع الصهاينة في محاولة سحق الشخصية العربية الفلسطينية المقاومة ، بالذات ..

بل ان غرض اجهزة الاعلام الصهيونية ، خلق عناصر التشكيك بجدوى وجود شعر المقاومة ، بل بجدوى وجود المقاومة ، والعمل الفدائي ، ككل .. وان هذه المسألة من الخطورة بحيث مرت – كلعبة دقيقة التخطيط والصنع – على العديد من الادباء ، بل ومن الدول العربية !.. دون ان تثير تساؤلا كبيرا من الناحية الايجابية الا بعد ازمة لبنان مع منظمات العمل الفدائي ..

ان اعلامية الصهاينة ، تركز – في الجانب النفسي – ضمن ما تتركز، على ابقاء حالة التشكك وغياب الثقة ، وخلق عنصر الريبة . في كل قلب عربي ، ولكل فئة ، وجهاز ونظام حكم .. لكي تظل قوانا الاعلامية والعسكرية (الشعبية والرسمية) تتضارب وتكيل التهم الى بعضها البعض .. وبالتالي ، لكيما يظل العرب غرباء عن بعضهم . ويمكن – بعد فرقتهم نهائيا – ضربهم بسهولة .. ولقد تحقق تطبيق جزء من خطة العدو بشكل أو باخر في الخامس من حزيران وبعده، ولوقت قصير ، عبر « الجسور العفويه » و« الواعية ! » لتمرير هذه المسائل .. ومنها الموقف من شعراء الارض المحتلة في مهرجان صوفيا .. وفي الرأي العام العالمي ..

ولم يأخذ هؤلاء بعين الاعتبار ان الغاية التي من اجلها سافر شعراء الارض المحتلة هي جزء مما يسعون اليه لصنع تاريخ فلسطين الجديدة .. ومع ذلك ، فهم لم يتحدثوا عن فدوى طوقان ولم يشككوا في جواز الصهاينة معها ، لانها فدوى .. بل ولان الهوية الفكرية هي « بعض » ما يثير حفيظة « البعض » في الوطن العربي ..

– ٧ –

ان المهمة الاساسية التي تواجه شعراء الارض المحتلة ، بل كل الكتاب التقدميين هي مسألة العمل للاسهام بصنع التاريخ الجديد لوطننا العربي ، « فالانسان ، الانسان الواقعي ، الانسان الحي، انما هو الذي يعمل ويمتلك ، ويناضل كما يقول ماركس في « العائلة المقدسة » اذ ليس « التاريخ هو الذي يستخدم الانسان ليبدع » بل « ان التاريخ ليس الا نشاط الانسان متابعا غاياته .. »

واظن ان الذين يسيئون لشعراء الارض المحتلة ، يدركون جيدا قولة انجلز التي استقاها من هيجل :« الحريه هي معرفة الضرورة » والتي اغناها ماركس بقوله :« الحرية هي الوعي الذي يجتازه الانسان عن ذاته في عنصر الممارسة ،اي هي المعرفة التي يمتلكها انسان عن اخر بوصفه مساويا له ..» (١٢) .. وان – هذا الوعي – قد تحقق لدى شعراء الارض المحتلة – كمناضلين – استطاعوا عبر « عنصر الممارسة » أن يحققوا لانفسهم « الحرية » .. فهم « احرار » مع انهم سجناء الاحتلال الصهيوني ..

لذا فازاء موضوع الحرية ، نجد « ان – وحدة الاخرين – الحية المحسوسة ، اولئك الاخرين الذين يؤلف كل منهم تجاه غيره مركزا لا ينضب من الثراء والتساؤل هي الواقع الاساس ، حقا ، فما يملك فرد او شخص – في منظور الانسية الماركسية – ان يكتمل تفتحا الا اذا هو انغمر فيها وتلقى منها الحرارة والحياة، ولكننا لا نستطيع في اية لحظة ان ننسى علاقات الاستقلال والاضطهاد ، مع كل ما تولده من صور « الالينة في كل نظام طبقي » هي التي تحول دون هذا التواصل الانساني والكفاح ضد هذه العوائق هو هدفنا الاولكمناضلين» – كما يقول روجيه غارودي – فان « علاقه الانسان الفاعلة مع ذاته – يقول ماركس – ليست قابلة للتحقيق الا اذا هو استخدم فعلا ، كل قواه النوعية ، وهذا بدوره لا يستطاع الا بعمل البشر الجماعي، الا كنتيجة للتاريخ ..» (١٣)

فمسألة حرية الشاعر ، كفنان ، لا تنفصل عن نضاله ، وان«علاقة الانسان مع ذاته » ومع « الاخرين » »هي بمقدار فاعليته النوعية، بالاخرين وبالمسار التاريخي ضمن عملية البشر الجماعية لصنع التاريخ ..

وما فعله شعراء الارض المحتلة ، كان تفهما عميقا لشروط حريتهم الذاتية ،حريتهم الداخلية ،وكرفض واضح ، لسجنهم الخارجي، والعسف الذي يلاقون ..

فالحرية ، هنا تكتسب بعدا اعمق ، من الفهم « التحرري » ... ولقد كانت فدوى طوفان ، حرة حتى النخاع . حين اجابت بموضوعية ووضوح ، على اسئلة الصهاينة ابان محاورتهم لها ..

كذلك كانت حرية درويش وصحبه ، عميقة وذات دلالة ، رغم كل « اشكال » العسف والاضطهاد الموجه ضدهم في « شكل » تغربهم بمنحهم جواز السفر الاسرائيلي !

اذن « فمعرفة الضرورة » ، ما فعله شعراء الارض المحتلة، بوعي خاص . تعميقا لانسانيتهم ولخطهم النضالي الواضح ..

ـ ٨ ـ

اما الكلام عن « المعجزة » الشعرية :« معجزة المقاومة العربية » كتعويض عن غياب « المعجزة الحقيقية » « معجزة المقاومة المسلحة » ـ سابقا ـ فهي تسقط أيضا ، في نفس التخبط الخاطىء في فهم طبيعة النضال على الارض العربية المحتلة « مع تعدد جبهاتها » اذ يبدو من كلام الاستاذ غالي .. انه لا يريد ان يوجد ـ مقاومة مسلحة ـ قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ . وكأن احداث بور سعيد عام ٥٦ وبطولات الجزائر عبر المليون شهيد ، واليمن والعراق وسوريا (ولبنان ٥٨) .. وهي احداث قريبة للذهن .. لا تدرج ضمن ـ معجزة المقاومة المسلحة ـ ..

ولكون معجزة المقاومة لم تدرس ـ كما يجب ـ من قبل نقاد الادب والسياسة ، في العهود الماضية كلها .. فلا يعني انها لم تتغير نوعا نحو الافضل ، اما من حيث المضمون فالكاتب الفاضل قد يتجاهل ان هذا الادب الذي « لم يتغير نوعيا ، بعد الهزيمة » مع ان الاسماء قد عرفته قبل الهزيمة الاخيرة بسنوات » ـ على حد تعبيره ـ قد تغير بعمق .. فلو راجعنا الدواوين والقصائد المنشورة لمحمود درويش والقاسم وزياد والاخرين .. في جريدة « الاتحاد » ومطبوعات جبهة « الارض » ثم في مجلة « الجديد » وغيرها .. ثم بعد ذلك فيما وصلنا من دواوينهم .. بشكل متواز مع سعة العمل الفدائي ونبلور فكر ومنهج أغلب اتجاهاته .. والتغير النوعي الذي طرأ على قيادات العمل الفدائي .. لوجدنا اكثر من دليل يؤكد صحة ما ذهبنا اليه ..

ومع ان قصائد شعراء الارض المحتلة اعتمدت النظرة الماركسية للحياة ، فهي لم تخل من نقاط ضعف وهنات في التقنية ، والوحدة الموضوعية ، وبناء القصيدة عموما ، لكن توفيق زياد في شفافية صوره ، وكثافة قصائده ، وخاصة ديوانه الاخير « ـ ادفنوا أمواتكم .. وانهضوا » الذي يعتمد دراسة الظواهر الحياتية ، في بساطة وتلقائية وتناغم متشاوق مع المعنى دون افتعال .. اوجد توازنا في التطور النوعي لقصيدة الفعل الثوري ... الى جانب قصيدة « الحبيبة والوطن » و« الامة » لدى درويش و لدى سميح القاسم ..

ويمكن أن نطرح فدوى طوقان كمثال آخر ـ كما قلنا ـ في بعض قصائد « امام الباب المغلق » و« الليل والفرسان » فهي رغم كونها غير ماركسية التفكير والمنهج ، فقد تحولت من موقع النواح والحزن المغلق على الذات الى مواقع التحدي وتصوير البطولات عبر شخوص فدائية ، ثورية كما في قصيدة « حمزه .. » وغيرها ..

لكن « المعجزة » لن تتحقق الا بالافعال الثورية ، لا بالالفاظ الثورية ، وان « المعجزة » هي من صنع الجماهير العربية المناضلة والمنظمة تنظيما واعيا ومتماسكا ، والتي تتسلح بالنظرية الثورية ، وتتخطى مواقع الماضي وسلبياته ، والاطر الرسمية والفوقية للعمل النضالي .

ان الجماهير ، في كل قطاعاتها الفكرية والعسكرية ، هي صانعة المعجزات .. وان التاريخ لن يغفر لمن يجزىء المسألة ويفصلها عن ظواهر الحياة والمجتمع والتاريخ ..

ـ ٩ ـ

ان تجاهل صيغة الابداع في شعر المقاومة ، ثم تجاهل صيغة الثورة في مضمونه ، يدفعنا الى القول بأن الناقد غالي شكري لايعتبر الادب المقاوم ثوريا ، الا من خلال ما تقع عليه عيناه .. انه يمجد معين بسيسو ـ رغم احترامنا لشعره وتحفظنا من بعض تصريحاته ـ شاعرا ثوريا ، لانه عاش في مصر .. ويعتبر فدوى شاعرة مقاومة منذ البدء لانها عاشت ـ كما عاشت المرحومة سميرة عزام ـ قريبة الى الذهن المصري ـ في النقد والحياة ..

وهذه الاقليمية في الرؤية الى الادب والادباء العرب ـ من غير مصر ـ اصبحت موضوع الساعة ، لان اكثر من تأكيد يؤيد ما يذهب اليه بعض الاخوة الادباء ـ في مصر ـ حول هذه المسألة ..

انهم يتذرعون بعدم وصول نتاجات الادباء العرب في البلدان العربية الاخرى لهم .. والى غير ذلك مما كتب وقيل ..

اننا في الواقع لسنا ضد الروح المصرية ، لكننا ضد ان تتحول الى روح اقليمية ضيقة ، بمعنى أن ما لا ترضى عليه مصر ـ في السياسة والادب ـ ليس عربيا ، او ليس ثوريا .. ولا مقاوما ! .. لذا ليس غريبا ، قطعا ، ان نجد السخرية والتشكيك بالعمل الفدائي تحت غطاء كلمات المديح المتناثرة هنا وهناك في حديث الكاتب شكري حيث قال : ان « الذين ساروا تحت العلم الاسرائيلي في مهرجان صوفيا .. » ..« لا تتحدد نقطة انطلاقهم من المقاومة التحريرية الشاملة للوجود اليهودي ، وانما من المعارضة التامة للدولة الصهيونية » وقد نتساءل :

اولا : لماذا من « الوجود اليهودي » وليس من « الوجود الصهيوني»؟

ونجيب : بان العقلية التي اساءت للمعركة واضعفتها وسببت النكسة هي عقلية الخلط اللاعلمي والتعصبي بين اليهودية والصهيونية وهي عقلية اجهزة الاعلام ـ الانفعالية ـ التي خدمت بوقتها لغة « نرميهم في البحر » ـ اسرائيل والصهيونية العالمية ، كثيرا ، خاصة على مستوى الرأي العام العالمي .

ثم .. ثانيا : ان كل قوى المقاومة ـ رغم تعدد جبهاتها ـ لا تنفي ـ الان ـ ان نقطة الانطلاق هي ليست في محو اليهودية بل في ازالة خطر وهيمنة الصهيونية ووجودها ، كوجود استعماري في الارض المحتلة .. وأظن ان مناقشات مؤتمر نصرة الشعوب العربية الثاني، المنعقد في القاهرة ، ليست بعيدة عن الذهن ..

ثم .. ثالثا : اننا نعتقد ـ كما اكدنا مرارا ـ(١٤) :« انه عبر فهم أبعاد القضية الفلسطينية تنمو أبعاد القضايا الوطنية الملحة للطبيعة الديناميكية التي تمتاز بها المرحلة الراهنة في الوطن العربي، وللمناخ الثوري المساعد والدافع لكل صعود جماهيري تحرري ،يدفع المسيرة التحررية العربية الظافرة نحو الافضل .. اذ أن من الحقايا الواقع العربي نوعية الانظمة الاجتماعية ، وقضية الوطنية الوحدة النضالية التقدمية والاتحادات العسكرية ، الثنائية . .الخ ـ وتنظيم قوى الثورة لتكوين موقف عربي موحد ومواجه ومتماسك ، للاسهام في انتزاع الارض المغتصبة وتحرير فلسطين المحتله ، وازالة اسرائيل كوجود استعماري صهيوني ، استيطاني وتوسعي وعدواني .. وازالة كافة توابعه في بنية المجتمع الحالي . على الارض المحتلة .. وهذا كله لن يتم دون تطهير أرضنا العربية من بقايا انظمة الاقطاع والاستعمار والقواعد الاجنبية والبيروقراطيات ، والديكتاتورية والتنظيمات والعقليات التي نمنح ثقتها لكل الحكومات ، دون تمييز، ودون ان تتحول نوعيا عن مواقفها السابقة !

ورابعا : ـ ان « الاتفاق الجديدة لثورة فلسطين » والتي شخصت اهتمامات الرأي العام العالمي الذي راح يتابع ـ ابعاد الثورة ـ بعد الخامس من حزيران ، بما نشهده الارض المحتلة وجبهة العمل الفدائي بكل اجنحتها ، من بدايات مكثفة لنضال تحرري عنيد .. هو الذي فتح عيون الرأي العام العالمي ، وكذلك ايضا الكتاب العرب !.. اما قبل « العدوان الاخير ! » فقد كانت « الاشكال » الرسمية للعمل الدبلوماسي وغوغائية الاعلام العربي ، واقليمية وضيق افق المتحدثين عن فلسطين رسميا ـ كالشقيري ـ ورجعية العقول الكثيرة المتحكمة بهذا القطاع الوطني او ذاك .. دفعت باسرائيل لتعجل بعدوانها ـ ليس الاخير ـ في ٥ حزيران ! لتحقق بدعم من قيادة الامبريالية العالمية، المعادلة السياسية الجديدة للوضع العربي ـ الاسرائيلي :

ازالة آثار العدوان ـ فقط ـ كمقابل للاعتراف باسرائيل كوجود صهيوني استعماري قائم لاحلال السلم في منطقة الشرق الاوسط .

ـ التتمة ـ على الصفحة ـ ٨٢ ـ

ـ تتمة ـ وجهة نظر ـ

ـ تتمة ـ المنشور على الصفحة ـ ٤٦ ـ

***

ومن هنا تنشأ خطورة الدعوة لازالة آثار العدوان . فقط ، كتكتيك وستراتيجية في نفس الوقت ..

لذا فان هذه المساعي التي تتحقق في الدعوة هنا وهناك «ازالة آثارالعدوان» تضبب افق الحلول الاخرى ،وتشكك بقدرة كل المناضلين، وتتخوف من الشيوعيين داخل وخارج فلسطين المحتلة .. وتحاول ان تطمس معالم الثورة الفلسطينية والنضال في منطقة الشرق الاوسط، كجزء من النضال العالمي التحرري ، وكموقف ثوري ضد قاعدة من قواعد الامبريالية العالمية ..

ان شعر المقاومة في الارض المحتلة ، قد استوعب هذه الابعاد، وعبر عنها ـ بالصورة والكلمة ـ وهو غير ملزم بان يطرح ـ عبر الشعر ـ مقالة سياسية .. لكنه يطرح هدفا سياسيا بصيغة شعرية..

في الشعر ، كما في النثر . وكما في معارك الكفاح المسلح . لا يمكن ابعاد روح التضحية والفداء وفصلها عن التلاحم الثوري بين قوى الثورة على ارضها العربية ،وبين قوى الثورة العالمية ، جميعا .

والشعر الفدائي الثوري ،حيث يكون الشعر كأداة تغيير قد ارتبط عبر شعر وشعراء الارض المحتلة والشعراء العرب الثوريين . في كل مكان .. بالقضية الفلسطينية ، آنيا . ليوسع ابعاد التحرك من خلال ابعاد التناول وآنيته ..

لذا فان عقلية التشكك بشعراء الارض المحتلة ، هي عقلية تقف مع اليمين . وتنطلق من مواقع مغازلة عناصر الانتهازية الفكرية ، والمتاجرة بالفكر التقدمي لافراغه من محتواه الثوري ..

وهذه الازدواجية ، ستسقط عند هوامش امجاد شعراء الارض المحتلة ، ان لم تكن سقطت منذ حين ، ان هذه الازدواجية ، تسقط.. بسبب كون الناقد الذي لا يناقش فنية القصيدة الشعرية ،ومحتواها وعوامل التطور في شعر المقاومة العربية ، ولا يناقش ـ دون عطف او عاطفة ـ مدى السيطرة على اللغة ونجاح تناول الحدث الشعري، والوحدة العضوية في القصيدة . ومعطيات القصيدة الفدائية، وتأثيرات التراث والتجديد وحركة الشعر العالمي على بناء القصيدة ، والمدى الذي بلغه شعراء الارض المحتلة تقنيا ، ومدى تأثير كل ذلك في حركة الشعر العربي ـ عموما ـ أخذاً وعطاء .. ثم الشخصية الشعرية وخصوصية الشاعر ، ابعادها ، نضجها ، تاريخيتها ، عصريتها ، فكرها وموقعها الايديولوجي .. الخ ..

هذه الجوانب وغيرها من واجب الناقد الموضوعي المتخصص ان يبحثها لا ان يجزل الثناء لهذا الشاعر او ذاك دون وعي تام لمضامين نتاجه وحركته ضمن مجموع الفكر المقاوم ..

اننا نطلب من الناقد ان يكون صادقا مع نفسه ومع الآخرين ، والا يضفي على نفسه امجاداً ثورية هي فوق الحقيقة .. لان ذلك سيؤدي به الى ان يجامل ، على حساب الموضوعية ، هذا النهج او ذاك ..

لذا فحين يؤكد الاستاذ شكري « مجاملا ومسيئا » ـ باعتقادنا ـ في ذات الوقت ، بهذه الصيغة :

« ... وفي حدود هذا المعنى للمقاومة لن نقع في اللبس الذي وقع فيه كثيرون حين اتهموا محمود درويش بالتحلل من الوجدان العربي في دفاعه عن الاكراد ، واتهام سميح القاسم بالذبذبة السياسية في انتمائه ومعارضته للحزب الشيوعي .. » .. نقول : حين يؤكد الاستاذ غالي شكري على هذه الصيغة ، فهو يحاول ان ينفي عنه تهمة الاتهام ، بتأكيدها ..

ومع ذلك لنناقش هذه المسألة .. اذ ماذا يعني دفاع درويش عن الاكراد ؟

ألا يعني تعميق اصالة الوجدان العربي لدى الشاعر .. دفاعه عن القوميات الاخرى .؟

ثم ان الاكراد شعب عاش معنا ، عبر تاريخ طويل مشترك ، من الافراح والمآسي .. وليس من المصلحة الوطنية ولا القومية ، الا يظل هذا الشعب يرفد شقيقه الشعب العربي بالتضامن الكفاحي على مر السنين ، لكيما تظل وحدة الموقف الانساني والمصير المشترك ، تدفع بالعمل نحو افضل السبل لخلق الاتحاد المتكافيء بين الشعبين ..

وعندنا في العراق ـ مثلا ـ تطرح المسألة الكردية نفسها بشكل ملتهب منذ سنوات ، وهي تواجهنا كمشكلة معقدة ومزمنة ليل نهار .. كما واجهت مشكلة الجنوب الثوار في السودان ..

ونحن نظل الى جانب تمتع الشعب الكردي بكامل حقوقه القومية المشروعة وبضمنها الحكم الذاتي في نطاق الجمهورية العراقية ، كما نظل نعتقد ان الحل الديمقراطي السلمي للمشكلة الكردية ، هو الطريق الاصوب لانهاء الاقتتال بين الاخوة وتفادي التضحيات والخسائر في الاموال والارواح .. وان حل المشكلة الكردية ، سلميا ، سوف يقطع الطريق على القوى الامبريالية والرجعية والعميلة التي تستفيد من اشغال الجيش العراقي من ممارسة دوره القومي ،على جبهات النضال ضد قوى العدوان .. ، كما يجب ، .. من ثم فان حل المشكلة الكردية، يدفع بمساهمة الاشقاء الاكراد في المعركة ضد الامبريالية واسرائيل ، كخطر يهدد استقلال وأمن المنطقة ، ومن أجل تصفية المواقع الاستعمارية، ودعم الانظمة التقدمية ، .. الخ ..

وقد يتوصل مؤتمر وطني لكل القوى الوطنية (الحزبية والمستقلة) عربا واكرادا لحل هذه المشكلة ، وعزل كل القوى الرجعية والمتآمرة التي تحاول الاستفادة من بقاء المشكلة دون حل ..

وهذه المشكلة نواجه عندنا بحلول واجتهادات عديدة ، وقد تواجه بفهم خاطيء لـ « شكل » الحل الذي يحقق الاستقرار والوحدة الوطنية للعراق ، وتحشيد كل القوى العسكرية والشعبية الى المعركة ..

فهل الدفاع عن المسألة الكردية ، او قضايا الافارقة والزنوج ، وكل القوميات والاجناس والديانات لكي يتحقق لها كامل حقوقها المشروعة ، « ضعف في الوجدان العربي » او العكس .. اذ انها تعميق لاصالة هذا الوجدان وتخط للتعصب القومي والنظرة الشوفينية والاقليمية الضيقة ؟..

ثم ان موقف سميح القاسم من الحزب الشيوعي ، هو موقف تنظيمي بحت .. فهل يدان القاسم لانه عارض بعض مسائل الحزب في التاكتيك او الستراتيجية .؟

كلا .. بالطبع .. ان لم تكن « المعارضة » قد أخذت « شكل » العداء للفكر الانساني ، وهذا ما لم يحدث .. بالتأكيد ..

ومن المعلوم ان الصراع الداخلي في الحزب الثوري ، هو ظاهرة عافية ، والحزب الماركسي ـ اللينيني الذي يخلو من صراع ، هو حزب خامل ، وهذا يعني محدودية فاعليته على ارض الواقع والنضال .. وما دام الحزب الثوري يحاول تطبيق نظريته الثورية على الواقع ، فهو يحتاج الى وعي خاص لاغناء نظريته بالواقع ، والعكس صحيح ..

اذ ان النظرية الماركسية هي « النظرية المستخلصة من الواقع الموضوعي والمعبرة عنه .. » ومن هنا « فلا عمل بلا خطأ .. » والحزب الذي لا تحدث فيه مثل هذه الملاحظات او الاخطاء او الصراع .. يعني انه حزب بلا عمل حقيقي .. وهو وجود غير فعال ، وغير مجد ..

واحيانا قد يتأزم الصراع ، ليس لحد خروج هذا العضو او ذاك ، عن التنظيم بل قد يتفجر الى انقسامات وانشقاقات بسبب مسائل جوهرية .. مع ان هذه الحالة (حالة عدم امكانية استمرار وحدة التنظيم ، ووحدة العمل ، ووحدة الفكر) هي حالة عجز لدى القيادة عن حل التناقضات داخليا ، وتحويل الصراع الى اداة فعالة لتطوير الحزب وتمتين وحدته التنظيمية ، وتطوير قدراته الفكرية ، وتنقية رؤاه الثورية .. الخ .

وارى ، انه ، لتتصارع الاجتهادات حول الموقف من القضية الفلسطينية والعمل الفدائي ، مثلا ، او من اجل شكل ومضمون السلطة في الارض المحتلة ، او من الوجود الصهيوني الاستعماري ككل .. او من ازالة آثار العدوان كبديل لحل ازمة الشرق الاوسط ، او ازالة اسرائيل كوجود صهيوني - امبريالي .. او حول هوية العمل الفدائي والايديولوجية التي يجب او لا يجب ان يختطها .. الخ .. الخ .. اني ارى ان دراسة هذه الظاهرة ، سيوصل كل المناضلين الى نتائج ايجابية ، وحلول اكثر موضوعية ، وامانة لعدالة القضية الفلسطينية.. على ان لا يصل الصراع لدرجة تهديد وحدة المنظمة الثورية واضعافها..

ولا اجد ان في موقف سميح القاسم - كشيوعي - من الحزب ، اي ذبذبة سياسية .. فهو رغم معارضته لم يقف في الصف المعادي للحزب ولا للنظرية ولا لقضية فلسطين العادلة ، بالاساس ، وهذا هو المهم .

وختاما ارى ان هذه المسائل بمجملها لا يمكن ان تخفي حقيقة وجود شعر مقاوم في الارض المحتلة وخارجها .. ومن الضروري الاهتمام به وتطويره ، عبر نقد موضوعي ، وملاحظة دائمة لما ينتج من قبل شعراء الارض المحتلة .. من ثم ترجمته ، ليسهم ، عالميا ، في تعميق قناعة الرأي العام العالمي بانسانية وعدالة قضيتنا في فلسطين ..

بغداد — **محمد الجزائري**

هوامش :

(١) و (٢) و (٣) تريستان تزارا : من مواليد رومانيا ١٨٩٦ ، وهو مؤسس الحركة الدادية في الشعر عام ١٩١٦ في زيورخ ، وقد عمل مع السرياليين بعد سنة ١٩٢٨ ، ثم انضم الى الحزب الشوعي الفرنسي مع اراغون وايلوار - ابان المقاومة الفرنسية ، توفي في باريس عام ١٩٦٣ ، والترجمة والمقتطفات من دراسة كتبها تزارا نفسه عن الشعر وتجربته ترجمها عن الفرنسية السيد فاضل عباس هادي .. مجلة الشعر ٦٩ العدد الرابع السنة الاولى ص ٤٢ .

(٤) و (٥) ابعاد البطولة في شعر المقاومة العربية : غالي شكري ، مجلة الآداب - تموز ١٩٦٩ ص ٢٨ والردود التي تأتي عليها المناقشة هي على هذا الموضوع بالذات الذي عرضته الآداب للمناقشة ، وتأخر ارسالي الموضوع للنشر لاسباب قاهرة ..

(٦) لنا بحث بهذا الصدد هو فصل من كتابنا « مسائل في الادب والانسان » الموجود في بيروت ، الآن ، تحت الطبع ..

(٧) و (١٠) روجيه غارودي : ماركسية القرن العشرين - منشورات دار الآداب ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٨) و (٩) الاضافات من قبلي .

(١١) حين جاء هيجل - ومن بعده ماركس، الذي كان في مطلع حياته آنذاك ، فطورا فكرة « التغريب » من الناحية الفلسفية ، فالا : ان بداية تغريب الانسان تنشأ من انفصاله عن الطبيعة عن طريق العمل والانتاج ، ومع ازدياد قدرة الانسان على السيطرة على الطبيعة ، وعلى تحويل العالم المحيط به ، نجده يواجه نفسه كشخص غريب ، اذ يجد نفسه محاطا باشياء هي من نتاج عمله لكنها مع ذلك تتجه الى تخطي حدود سيطرته وتكتسب في ذاتها قوة متزايدة (الاشتراكية والفن : آرنست فيشر ص ١٢٢ - عن الغربة) ولنا دراسة مطولة عن « الاغتراب في الادب والحياة » موضوع بحث خاص نحن بصدد نشرها بعد انجازها لاستكمال الفائدة ..

(١٢) كارل ماركس : (العائلة المقدسة) .

(١٣) كارل ماركس : (مخطوطات ١٨٤٤) .

(١٤) راجع مقالاتنا في الآداب اعداد ايلول ١٩٦٧ واذار ونيسان وتموز ١٩٦٧ واذار ١٩٦٩ و « الثقافة الجديدة » العدد الاول - بغداد ١٩٦٩ .. وفي كتابنا المشار اليه اعلاه تفاصيل اوفى بهذا الصدد .

« نحو ثورة ثقافية عربية »

في مطلع نيسان (ابريل ١٩٧٠ ، تصدر «الآداب» عددها السنوي الممتاز الذي يشارك في تحريره نخبة من الادباء العرب ، معالجين مختلف الموضوعات المتصلة بالدعوة الى ثورة ثقافية عربية شاملة في السياسة والفلسفة والدين واللغة والادب والاجتماع والاقتصاد. وستتناول هذه الابحاث بصورة خاصة واقع الادب العربي الحديث ، بمختلف الوانه وفنونه ، ومستقبله المرجو ، وسيكون لادب الشباب قسط وافر من هذه الابحاث .

والباب مفتوح لجميع المفكرين والباحثين والنقاد والادباء ممن لا تستطيع المجلة ان تتصل بهم «للمشاركة في تحرير هذا العدد الممتاز ، على الا تتاخر المادة المرسلة عن آخر شباط (فبراير) ١٩٧٠ .